القسم العمومي

القرآن والكتب المنزلة

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم معدود في اولي العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد بسائر الكتب السماوية وانها بوحي من الله والهام بل يعرف من صريح كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمتثلون أمراً من أوامره ويجيبون داعياً من دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب الآلهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن على ما بين يديه من الكتب يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون مصدق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون إن القرآن خاتمة الكتب كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلما الا يؤمن بالتوراة والانجيل والزبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب الآلهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن الخطأ والزلل وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف عندنا ان الاناجيل المشهورة لم تكتب فى عهد المسيح عليه السلام كما كتب القرآن وغيره فى حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة فى نقل من تحقق عصمته أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام الانجيل وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وما نعرفه من الكتب الالهية نقبله ولا ننكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بشر بهما أنبياؤكم من قبل كما تقولون فى المسيح عليه السلام وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى فى اصطفاء الله له كذلك لا يقدح انكار من أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى ثبوت رسالته . ولقد أرشدني الاطلاع على مذاهب المسلمين فى التسليم الى انهم لا يأبون عن تسليم أدلة القسيس بالي التى ذكرها فى كتابه المسمى ببراهين دين المسيح غير انهم يتخذون منها حججاً قويمة على ان دينهم الحق . مثلا يمدون من بينات دينهم ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد اليه أدنى الفكر فى أحوالهم من ثباتهم معه فى ساعات العسرة ومصابرتهم فى الشدائد وازدياد ايمانهم فى الضراء واستقامة سيرهم فى السراء . ومنها ما يبهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

مجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الغريب فى قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ماتدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة فى النهاء وتشعرهم شعار التسليم والاصطبار فى البأساء. وفى الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأمي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بحقائق زكية نقية عالية وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتى جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحي من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شئ مما نقل فى كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا يجاب عنه بأن هذا لا يقدح فى رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه فى دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والعياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بغرائبه وقد رأينا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا أنه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول فى دعواه عليها. على ان الاعاجيب التى رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت فى هذه الايام مما يعد عقبة فى طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها فمدلول محمد (صلى الله عليه وسلم) فى اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق أنبائه والبراهين العقلية التى تحدق اليها البصائر السامية كل ذلك آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم على

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون

ثم ان المسلمين لا يقفون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الحد ولكنهم يذهبون الى أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ونبيهم (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة والسلام) قد توالت أنباؤهم على التبشير بنبيهم كما نقول في عيسى عليه السلام وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل افضل لهم وقد نجد التأويل الثاني الصق بعبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين متعادلتين وانما يرجح كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نبهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى العددين المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥ فيمد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بني ... نسه ملك اليهود مذابح للاصنام في هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس بالرجس المخرب وعبر عن المراثي بتسخير الاوديين لاورشليم فأراني كيف أن احد العددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما أتم المسلمون فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن ابن عليّ دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها ولكني أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصده الآن أن نعرف النصارى عندنا في انكلترا كيف يستدل المحمديون بأنباء كتب اليهود والنصارى على اثبات دينهم وتحقيق يقينهم بقي شيء يشتد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة جسمانية فيها من الحور العين ما تشتهيه نفوس المؤمنين على اني أقول وما انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود (عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير اننا لمحنا من درس فصول ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنايات عن محبة المسيح لأمته ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المعدودة عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه وان لنا عبارة تألفها نفوسنا ونترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول «أورشليم المذهبة المباركة باللبن والعسل» وليس يخطئ قائل لنا ان نفهمات المظفرين وأغاني المخلصين التي نجدها في مكاشفات يوحنا يذكرنا بأن غاية المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنة نعيمه فيها ان يأكل ويشرب ويسكر ويغني كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل لفظ وجد لمعنى محسوس على سر معقول

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى غير النهاية عن النعيم الجسداني ولسنا نكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراه الا الاكل والشرب وقضاء شهوات أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل على ذلك ففيها عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه . ان أعظم فوز يفوز به العبد في الآخرة هو لقاء ربه في الغدو والآصال وهو نعيم يفوق كل نعيم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان في عقائد المحمديين ان رضوان الله أكبر من كل نعيم فان وافقنا المسلم على ان جنة جسمانية لا تليق ان تكون جزاء المؤمن في الآخرة أفلا يجوز له أن يأول ما ورد في كتابه من [illegible] ذلك كما [illegible] التشبيه وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عنده في كتابه ما يشير الى أن بعض [illegible] الله [illegible] لا [illegible] على ظاهره وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا الاسماء [illegible] ثم [illegible] في [illegible] ما يسوغ التأويل [illegible] الى أن ما جاء فيها من الأوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب يصرح لنا بأن ما فيه من الأقوال حق لا ريبة فيه كما هو مذكور فالمحمديين حق اذا طلبوا الجنة الروحانية واللذائذ السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابهم ويرون ان هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم واني أحسب من الظلم الفاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نسلكه في ايضاح غوامض كتابنا المقدس

(اسحق طيلر)